الفصـل الأول

كيفية انتشار الإسلام في القرن الإفريقى

ودور العفر في نشر الإسلام

==

المحتويـــات :

١ – الصلات القديمة بين الجزيرة العربية والحبشة والوسائل التى انتشر بها الإسلام فى القرن الإفريقى ٠

٢ – لمحة موجزة عن تاريخ الإسلام وتطوره فى المنطقة ٠

الصلات القديمة بين الجزيرة العربية والحبشة والوسائل التي انتشر بها الإسلام في القرن الإفريقي

===

لقد كان الساحل الشرقى الإفريقى منذ أبعد العصور ، أبعد أمنا وأسرع نجدة ، حيث لم تخلُ موانئ شواطئه من السفن الشراعية العربية التى كانت فيما مضى تمخر عباب المحيط الهندى إلى الجزيرة العربية والخليج ، طوال فصول السنة مهما كانت الرياح البحرية شمالا أو جنوبا ٠

وبذلك ندرك أن انتشار الإسلام فى الشرق الإفريقى من القارة الإفريقية كان مصدره بعثة من العرب الأوائل المهاجرين من الجزيرة العربية ومنطقة الخليج وفدوا بسفنهم الشراعية ، وأولئك الأوائل هم الذين كونوا الإمارات الإسلامية فى شرق إفريقيا عامة والقرن الإفريقى بصفة خاصة، وقد صمدوا بعدها أجيالا إزاء هجمات المسيحيين والوثنيين والاستعمار (١) ٠

فقد كانت رحلات العرب إلى شرق إفريقيا هى أقصر تلك الرحلات وأقربها وأكثرها سهولة ويسرا ٠ وقد استوطن كثير منهم على الساحل وأدخلوا زراعة جوز الهند وقصب السكر التى لم تكن معروفة من قبل (٢) ٠

ولاشك أن الهجرات العربية بظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى كانت أبرز الهجرات التى شهدها الساحل ، وأهمها تأثيرا فى تاريخه بحكم

---

(١) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والإسلام فى إفريقيا الشرقية ، بيروت . دار الفتح ، ١٩٧٣ ، ص ٢٦ ٠

(٢) سبنسر ترمنجهام : الإسلام فى شرق إفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٩ ٠

العامل الجغرافى الذى يتمثل فى قرب شبه الجزيرة العربية · ونتيجة لذلك لعب العرب الدور الحاسم فى نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية فى ساحل شرق إفريقية حيث نشأت بجهودهم مدن أو مراكز تجارية ، اعتزوا فيها بدينهم واحترامهم لأنفسهم (١) ، فترك ذلك انطباعا طيبا فى نفوس الأفارقة·

وكان للحبشة صلات قديمة مع بلاد العرب قبل الإسلام، وهى صلات تجارية وسياسية وحربية تتمثل فى غزو الأحباش لبلاد اليمن ولم يقطع الإسلام هذه العلاقات وإنما زادها قوة، فاتصال الإسلام بالحبشة يرجع إلى السنة الخامسة من الهجرة حين أوى المسلمون إلى النجاشى اعتصاما بعدله ونجاة من أذى قريش وعدوانها · غير أن هذه الهجرات لم تكن بقصد الإقامة ولكنها تركت أثرا فى حياة البلاد ولفتت أنظار الناس إلى ذلك النبع الروحى الجديد · ثم بدأت الدولة الإسلامية تحتك بالحبشة وبلاد القرن الإفريقى فى عهد عمر بن الخطاب بقصد نشر الإسلام (٢)·

وهكذا انتشر الإسلام عن طريق الدعاة والهجرات وتحركات القبائل العربية وغير العربية والحج والطرق الصوفية والتجارة · كل هذه العوامل أدت إلى انتشار الإسلام فى إفريقيا عموما والقرن الإفريقى وشرق إفريقيا بصفة خاصـــة ·

ونقصد بالدعاة الأفراد المسلمين العاديين ، وقد لعب هؤلاء دورا عظيما فى تاريخ نشر الإسلام فى إفريقيا لأن الإسلام لم يكن له دعاة رسميون

---

(١) محمود محمد الحويرى : ساحل شرق إفريقية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٤١·

(٢) رجب محمد عبدالحليم «دكتور» : الإسلام فى شرق إفريقيا ، مذكرة للدراسة ، ص ١٠٩ ·

أو طبقة كهنوت كما فى بعض الديانات الأخرى ، يقع على عاتقها نشر الديانة، وهذا ما ضاعف من مسئوليات الفرد المسلم، فعليه وحده وقع العبء · ومن أهم هذه الوسائل الموعظة الحسنة عن طريق الدعاة والمعلمين والفقهاء والشيوخ · ولم تكن دعوتهم عن طريق القهر وإنما كانت تتمشى مع المنطق الإسلامى القويم فكانت الدعوة الإسلامية دعوة روحية بحتة·

ويقول المؤرخ الكبير توماس أرنولد : « إن الأساليب السلمية كانت هى الطابع الغالب على حركة نشر الدعوة الإسلامية فى القارة الإفريقية » (١) ·

ويقول الدكتور رجب عبدالحليم : « إن هجرات القبائل العربية وغير العربية من بربر والصومال وعفار وجالا « أروموا » وغيرهم كان لها أثر كبير فى نشر الإسلام وتكوين دول عربية إسلامية فى شمال القارة وشرقها » (٢) ·

وفى العصر الإسلامى يذكر التاريخ أن العرب استوطنوا إفريقيا الشرقية لأول مرة فى عام ٦٥ هـ - ٦٨٤م فدخلوا السودان ، وإريتريا وغالبية مواطن شعوب الحبشة، والصومال وعفر وغيرها (٣) ·

---

(١) توماس أرنولد : الإسلام فى إفريقيا ·

(٢) رجب محمدعبدالحليم «دكتور» : مرجع سابق ، ص ٣ ·

(٣) محمد أحمد مشهور الحداد : مرجع سابق ، ص ١٥٥ ·

لمحـــة موجـزة عن تاريـخ الإسـلام وتطـــوره

في منطقة القرن الإفريقى والحبشة

بما فيهـا بلاد العفر

وهذا الموضـوع من حيث أهميـته يجرنا إلـى الحديث بـداية عن كيفيـة دخول الإسـلام إلى الحبشة بصـفة عامة ، وإلى منطـقة استيطان العـفريين على وجـه الخـصوص ، نظرا لأهـميـته التـاريخـية فى تـكوين الإنسـان العفـرى بعـد اعـتناقـه الإسـلام منذ البـدايات الأولى ، ودورهـم فى نشـر هذا الدين وجـهادهم المشهود فى المنطقة ومراحل تطور هذا الدين وازدهاره ٠فمنطقة القرن الإفريقى تعد المكان الثانى بعد مكة الذى انتشر فى فجر الإسلام فى عهد الرسـول (صلى الله عليـه وسلم) ويشـتـرك مع العفـر شـعوب منـطقة القـرن الإفـريقى فى هذا الشـرف العظيم ومـنهم الصـومـاليـون وقـبـائـل السـاهـو والقـالا (أورومـو) والجبـرته والتجرى ٠ والجـدير بالذكر أن كلمـة الحبشـة فى تلك العصـور كانت تطلق على جـمـيع مناطق القرن الإفـريقى ٠ وكـان دخول الإسـلام إلى الحـبشـة ٦١٤م فى السـنة الثانية قبل الهجرة عندما هاجر الصحابة الكرام إليها بادئ ذى بدأ ، ووجـدوا كل ترحـيب وعطف من مملكـة النجـاشى أصحـمـه ، على مـبـادئ الإسلام السامية وتعاليمه السمحة ٠

كمـا أن النجاشى نفسـه من أوائل من هدى بنور الإسلام واعـتنقه ولكنه مـات قـبل أن تمكنه الظروف مـن نشـره وجـعله دين الدولة ، وقـد نعـاه جـبـريل عليـه الـسـلام إلى الرسـول (صـلـى الله عليـه وسلـم) فـصـلـى عليـه صـلاة الغائب (١) ، وذلك فيمـا رواه أصحاب السيرة النبـوية ، وأن النبى عندما رأى ما

---

(١) ابو احمد الاثيوبى : الإسلام الجديد فى الحبشة ، ١٩٦٤ ، ص ١٥ ٠

لحق أصحابه الذين أسلموا من قومه وأقاربه من الأذى والتعذيب أشار عليهم بالهجرة من مكة إلى الحبشة – وقال لهم : « إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله فرجا مما أنتم عليه » ٠

وقال الطبرى : « كانت أرض الحبشة متجرا لقريش يجدون فيها رقاقا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا وكان فيها ملك صالح يقال له النجاشى ، فأمر النبى (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالخروج إليها فخرج منذ ذلك إلى الحبشة نفر من أصحابه يبلغ عددهم ١١ رجلا وأربع نسوة وفيهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعبروا البحر الأحمر إلى الحبشة واستجاروا بالنجاشى فأجارهم وعلم منهم بعثة النبى (صلى الله عليه وسلم) فأكرم مثواهم ،وكان ذلك فى السنة الخامسة من البعثة ٠ وكان مكثهم فى الحبشة فى هذه الهجرة نحو ثلاثة أشهر ثم عادوا إلى مكة ٠ فلما عادوا إلى مكة وجدوا تعنت القريشيين يزداد كما ازداد عدد المسلمين أيضا ، فعادوا إلى الحبشة ثانية ٠

الهجرة الثانية إلى الحبشة

ولما كانت قريش لا تكف عن أذى المسلمين ، اجتمع عدد كبير ممن أسلموا يبلغ ثمانين رجلا عدا النساء والأطفال، وقصدوا الحبشة ثانيا، فرحب بهم النجاشى وأسكنهم مجتمعين ليقيموا شعائر دينهم ٠ وتقول الروايات الإسلامية أنه أسلم على يد جعفر بن أبى طالب لأنه كان مع المهاجرين فى هذه المرة ٠ وهناك خشى كفار قريش أن يكون هذا العدد من المهاجرين قوة للتبشير بالإسلام فى الحبشة، وأنهم إذا تم لهم ذلك عادوا بجيش جرار من الحبشة لحربهم ونصرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأن غزو

الحبشة لليمن ومكة عام الفيل كان لا يزال عالقا بأذهانهم ، فضلا عن أن جيش الحبشة إذا جاء هذه المرة إنما يكون لنصرة دين الله فلا يسده الله كما سده عام الفيل وأهلكه ، لأنه كان حينذاك يقصد هدم بيت الله (الكعبة المشرفة) · ولذلك قررت قريش إرسال وفد إلى النجاشى ليسلمها المهاجرين ، فجمعت قريش هدايا نفيسة لتقدم إلى النجاشى، وهدايا أخرى لتقدم إلى البطاركة وأرسلتها مع عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة ، وأفهمتهما أن يتفقا مع البطاركة على أن يساعدوهما فى رد المهاجرين إلى قومهم · فقال أبو طالب حين رأى ذلك أبياتا للنجاشى يحثه على حسن جوار المهاجرين وعدم دفعهم إلى قريش :

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر

وعمرو وأعداء العدو الأقارب

فهل ناء فعل النجاشى جعفرا

وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد

كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة

وأسباب خير كلها بك لازب (١)

---

(١) أبو أحمد الاثيوبى : مرجع سابق ، ص ٢١ ·

فلما قدم وفد قريش وهم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة قدّما الهدايا إلى البطاركة وأخبروهم بما وفدا من أجله ، وطلبا إليهم أن يحولوا بين المهاجرين والنجاشى فأوصلهم البطاركة إليه ، فاستدعى عمرو وعبدالله وشكرهما وسألهما عن حاجتهما ، فقال عمرو : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدكم منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلم بهم عيبا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه · فلما سكت النجاشى سارع البطاركة بالكلام ، وحاولوا إقناعه بوجوب ردهم إلى قومهم وإبعادهم عن بلاده ، ووجدوا بقدوم عمرو وعبدالله فرصة ثمينة للتخلص من هؤلاء الغرباء الذين لا يدينون بدينهم · ولما كان النجاشى قد أسلم وكتم إسلامه عن أصحابه ، وكان فى قدرته أن يرد وفد قريش بدون أن يسمع حجة المهاجرين ، لكنه أراد أن يُسْمِع أصحابه دعوة الإسلام رغبة منه فى أن تلين قلوبهم إليه ، لذلك أبى أن يبت فى الأمر قبل أن يسمع كلام المهاجرين – وهم الخصم الثانى – ولذلك طلب المهاجرين ، فلما حضروا مجلسه قال لهم ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الملل · فتحدث جعفر بن أبى طالب – وكان خطيب القوم وأشدهم جرأة – يصف لهم فضائل الإسلام وقال : (أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ·

ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... وعدد عليه أمور الإسلام . ثم قال : (فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل الله ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادكم واخترناك عن سواك رغبة فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك) (١) .

فصدقهم النجاشى وأمّنهم وأبى أن يُسْلِمَهم إلى عمرو ورفيقه ، فاختلى عمر بالبطاركة وقال لهم (سأعزو إلى النجاشى بما يدعوه إلى إبعادهم عن بلادكم فإنهم يقولون فى عيسى ابن مريم غير ما تقولون فكونوا معى شدوا أزرى) . فوعدوه خيرا ثم غدا إلى النجاشى وقال له : (إن هؤلاء يقولون فى المسيح غير ما عندكم فيه) .

فأحضر المهاجرين وقال لجعفر : (هل معك مما جاء به نبيكم عن الله شيئا فتقرأه علىّ) . فقال : نعم . وتلى من أول سورة مريم إلى قوله تعالى: يوم أبعث حيا فبكى النجاشى وأساقفته وقال : (إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة (ثم أخذو عودا من الأرض وقال لجعفر : والله ما زاد على ما فى الإنجيل ولا مقدار هذا العود) . ونظر إلى رسولى قريش قائلا : (انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون) . ورد عليهم

---

(١) فتحى غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، ص ٤٩ – ٥٠ .

الهدايا فرجعا خائبين · وقال للمهاجرين : (إذهبوا فأنتم آمنون) · فأقام المسلمون فى جواره رغم إرادة البطاركة حتى بعث النبى (صلى الله عليه وسلم) فى طلبهم بعد الهجرة · فعادوا إلى المدينة سنة فتح خيبر فى السنة الثامنة بعد الهجرة ٦٢٩ م ، فكانت مدة إقامتهم فى الحبشة ١٦ عاما · وقد حضر جعفر ورفاقه أيام فتح خيبر فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) (بأيهما نُسَر ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر) · والنجاشى (أصحمه) كما تقول الروايات المختلفة كان أبوه ملكا على الحبشة وهو صبى صغير فقتل أبوه واستولى عمه على الملك وباع الصبى إلى رجل من العرب من بنى ضمره ، ومكث فى بلاد العرب مدة مكنته من لغتهم وعاداتهم ، وتمضى الرواية فى شرح الظروف التى عاد فيها الصبى عندما كبر وصار ملكا على الحبشة ·

ونستطيع أن نستخلص من خلال هذا السرد أن أقوام الحبشة من الجبرت والعفر والساهو الذين مرت البعثة الإسلامية إلى الحبشة عبر أراضيهم هم أول من اعتنق الإسلام فى القرن الإفريقى ·

الرسائل المتبادلة بين النجاشي والرسول عليه الصلاة والسلام :

وقد ثار جدلٌ حول كتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشى وإمكان التوفيق بينه وبين ما جاء ذكره فى السيرة التى اقتطفنا جزءا منها ، فقد جاء فى ما ذكره ابن إسحاق أن كتابه (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشى ملك الحبشة كما يلى :

نص الكتـــاب :

(من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة ، إنى أحمد إليك الله الملك القدوس والسلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم الطيبة

الحصينة حملته من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده · وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله وأنا أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فأقبلوا نصحى وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفر ومعه المسلمين والسلام على من اتبع الهدى) (١) .

ويمتد الخلاف فى موضوع كتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشى على أهميته ، حيث تذكر بعض المراجع أنه أرسله مع ابن عمه جعفر ابن إبى طالب ، ويرى بعضهم أن رسول النبى إلى النجاشى كان رجلا من بنى ضمرة يقال له عمرو بن أمية ، ويربط هؤلاء بين هذا المندوب وبين قصة إقامة النجاشى (أصحمة) لدى بنى ضمرة فى شبابه ، وليس ببعيد أن يكون النبى (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل كتابين أحدهما مع ابن عمه جعفر والآخر مع عمرو بن أمية الضمرى · وهنا قد يستقيم ما ذكرته بعض المصادر من أن أحداث الهجرة قد وقعت فى عهد ملكين متعاقبين من ملوك الحبشة ومن هنا جاء الالتباس ·

نص رد النجاشى على الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من النجاشى أصحمه سلام عليك و رحمة الله وبركاته ، لا إله إلا الله هدانى إلى الإسلام ، أما بعد فقد وصلنى كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت فيه عن أمر عيسى بن مريم فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ولا علاقة بين النوى والقمح ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وشهدنا بأنك

---

(١) « صبح الأعشى » للقلقشندى ، الجزء السادس ، وذلك فى السنة السادسة بعد الهجرة إلى المدينة ·

رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعناك وبايعنا ابن عمك وأسلمت على يدى الله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) ٠ وقد أرسل النبى (صلى الله عليه وسلم) فى السنة السابعة من الهجرة بكتاب إلى النجاشى وفى هذا الكتاب طلب النبى (صلى الله عليه وسلم) إعادة المهاجرين ، وتوكيل النجاشى فى أن يخطب له السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان التى هاجرت مع زوجها عبيدالله بن جحش فمات مرتدا عن الإسلام ، فخطب النجاشى أم حبيبة للرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصدقها من عنده ٤٠٠ دينار ثم جهزها إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) مع شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه ٠

وتبودلت بينهما الهدايا فقد أرسل النجاشى إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خفين أسودين غير منقوشين ، وحلة وخاتما ذهبا وثلاث عنزات وقرورة غالية (نوع من الطيب) وقميصا وسراويل ومعطفا وبغلا حبشيا٠

هدايا الرسول إلى النجاشى (١) :

وأرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهدايا منها جبة سندس ، وأوقية من المسك ولكن ردت إليه لأن النجاشى قد مات فى رجب سنة ٩ من الهجرة الموافق ٦٣٠ م)٠ ويقال إن النجاشى قد بعث وفدا برئاسة ابنه (أياحه) إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) سنة ثمانية من الهجرة ومعه كتاب من النجاشى إلى الرسول وهذا نصه :

---

(١) النجاشى : تقول المصادر العربية أن النجاشى كان اسمه « أصحمة » ومعناه باللغة العربية «أعطية» وجاء اسمه فى بعض المراجع الأجنبية « إيلا صحم » Ella Saham ٠

كتاب النجاشى إلى الرسول :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من النجاشى أصحمه بن أبحر (١) · السلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته ·· لا إله إلا الذى هدانى إلى الإسلام أما بعد :

فقد أرسلت إليك من كان عندى من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادى كما أمرتنى ، وها أنا الآن قد أرسلت إليك إبنى (أياحه) فى ستين رجلا من أهل الحبشة وإن شئت أن آتيك بنفسى فعلت يا رسول الله فإنى شهدت بأن ما تقوله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) ·

ويروى السير برج فى الصفحات ٢٧١ وما بعدها – قصة الهجرة والكتب المتبادلة ويذكر اسم الملك فى بعضها أصحمه « إيللا صحم » ثم يعود فيسميه أرمحه ، ثم يستمر فى تسميته أرمحه فى باقى روايته (٢) ·

فركب المهاجرون العائدون سفينة وركب الوفد الحبشى سفينة أخرى وسارت بهم حتى إذا توسطت البحر غرقت بهم ومات فيخا بن النجاشى· والحكمة فى ذلك الله أعلم بها · ولكن لا يستبعد أن يكون غرق السفينة بفعل المخربين البطاركة الناقمين على النجاشى لإسلامه خشية أن يرتبط بالجزيرة العربية لنشر الإسلام · وكان الرجال الستون الذين غرقوا فى البحر قد أسلموا كما لا يستبعد أن يكون هناك رجال غيرهم قد اعتنقوا الإسلام فى الحبشة، ولاسيما أنه ورد فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وإذا سمعوا اللغو

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ١٥ ·

(٢) السير برج : فى صفحات كتابه ص ٢٧١ ، قصة الهجرة ·

أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ﴾ بأن هذه الآيات نزلت فى قوم من الحبشة أرسلهم قومهم إلى مكة وهم عشرون رجلا فوجدوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المسجد فجلسوا إليه وسألوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عما أرادوا ودعاهم إلى الله تعالى وتلى عليهم القرآن ، فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه ٠ فقد عرفوه كما كان يوصف لهم فى كتابهم ، فلما قاموا عنه اعترض طريقهم أبوجهل بن هشام فى نفر من قريش وقالوا لهم (هيبكم الله من رَكْبٍ ، بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ٠ ما نعلم ركبا أحمق منكم) ، أو كما قالوا لهم ٠ فأجابهم الوفد الحبشى : (سلام عليكم ، أى لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه من تصديق محمد رسول الله ولكم ما أنتم عليه من الكفر والعناد عن قبول دعوة محمد ٠) وكذلك قال المفسرون فى سبب نزول قول الله تعالى فى نزول سورة المائدة : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، ويقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ إلى قوله : ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾ ٠ بأنها أنزلت فى سبعين رجلا بعثهم النجاشى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليسمعوا كلامه ويَرَوا صفاته فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشى فأخبروه بما شاهدوه ٠

وروى فى الآثار أيضا أن وفدا من الحبشة وفد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سنة غزوة أحد فى السنة الثالثة للهجرة كما أخرجه الطبرى فى معجمه الأوسط ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم على رسول

الله أربعون رجلا من الحبشة فشهدوا معه غزوة أحد فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد) · فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة قالوا يا رسول الله : (إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا لنواسى بها إخواننا فأذن لهم · فجاءوا بأموالهم وواصوا بها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم · فنزل فى حقهم قوله تعالى : ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ إلى قوله : ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ · وقد قام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بخدمتهم بنفسه ، وعندما قال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله قال : (إنهم كانوا لأصحابى مكرمين فأحب أن أكافئهم بنفسى) ·

مما سبق يتجلى معنى ما بلغته الصلات الودية والعلاقات الحسنة بين الرسول الكريم وبين النجاشى الرجل الصالح المحب لعيسى ابن مريم والمتبع لتعاليمه ولبشارته برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ، ولم تأخذ النجاشى العزة بالإثم والتجبر والعناد فرحمة الله عليه رحمة واسعة ·

وهكذا انتشر الإسلام (١) فى الحبشة منذ عصر النبوة · وكانت الحبشة فى ذلك العصر تضم كل منطقة القرن الإفريقى حيث مكث الصحابة المهاجرون ١٦ عاما وهم يقيمون شعائر الإسلام ويوطدون تعاليمه السمحة بين سكان القرن الإفريقى وهضبة الحبشة والسواحل الشرقية للبحر الأحمر والتى يقطنها العفريون والساهو · ومنذ ذلك الوقت لم يزل الإسلام ينتشر

---

(١) الحبشة : اشتقت كلمة الحبشة من لفظة « حبشات » أو «حبشت» وهى قبيلة عربية نزحت من جنوب الجزيرة العربية إلى سواحل إريتريا ثم توغلت إلى المرتفعات الجبلية لتصبح فيما بعد أحد القبائل التى ساهمت فى تأسيس مملكة أكسوم · وكانت اسم الحبشة تشمل بلاد الصومال وزيلع والجالاه حتى إريتريا ·

فى أرجائها ويتسع من نفسه دون أن يكون له مبشرون من المسلمين سوى أفراد قلائل من تجار العرب الذين كانوا يعبرون البحر للتجارة من الدعاة المصلحين المتفقهين فى الدين الإسلامى ، وهؤلاء الأفراد القلائل من المسلمين الذين نشروا الإسلام فى منطقة القرن الإفريقى هم الذين كانوا يقفون مع أهل السكان فى وجه غارات المبشرين ضد الإسلام فى المنطقة والتى كانت البلاد تموج برسلهم ودعاياتهم التبشيرية المنظمة ٠

ويقول عبدالرحمن عمر عثمان الطويل : لاشك أن دخول الإسلام فى الشرق الإفريقى عامة كان فى الهجرة الأولى لأصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث هاجروا إليه بعد اضطهاد المشركين من كفار قريش لهم، فقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : « هاجروا إلى الحبشة فإن فيها ملك لا يظلم عنده الناس » (١) ٠

واسم الحبشة كان يطلقه سكان الجزيرة العربية أنذاك على المنطقة عموما بما فيها إريتريا والصومال والعفر ٠

وفوق ما تقدم ذكره فإن تدفق سبل التجارة العربية على سواحلها الشرقية جعل الإسلام ينتشر شيئا فشيئا ، ولاسيما فى البلدان الواقعة على ساحل البحر الأحمر والتى كان يقطنها العفر والساهو وفى جزيرة الدهلك القريبة من ميناء مصوع ، والتى دخلت فى حيازة خلفاء الإسلام فى عهد الأمويين حتى أصبحت دهلك منفى لمن يسخط عليهم الأمويون فى عهد سليمان بن عبدالملك فى سنة ٩٦ – ٩٩ هـ ، ٧١٥ – ٧١٧م ٠ وكانت هذه

---

(١) عبدالرحمن عثمان الطويل – سفير الصومال فى الإمارات العربية المتحدة سابقا – : الصومال تاريخ وحضارة . الطبعة الثانية ، ص ١٧ ٠

الجزيرة معروفة لدى العرب، وكانت بيئتها شديدة الحرارة وكان الأمير الذى يتولى شئونها من قبل الأمويين يدعى مالك بن شداد · وقد قال فى ذلك أبو الفتح بن عبدالله بن فلاقس الإسكندرى بيتا من الشعر يتناسب مع حرارة الجو واسم الأمير (١) :

ما أقبح بدهلك من بلدة

فكل امرىء حلّها هالك

كفاك دليلا على أنهـــا

جحيم وخازنها مالـك

وقال أبو المقدم فى بنت القطامى :

لو أصبحت خلف الثريا لزرتها

بنفسى ولو كانت بدهلك درهـــا

وظلت دهلك فى حيازة المسلمين حتى العصر العباسى ، كمااستمر الأمويون فى عهد عبدالملك بن مروان فى نفى كل من يسخطون عليه من العلويين ومن يتبعهم اليها مدة من الزمن، لذا ضمت هذه المدينة عددا ليس بقليل من المسلمين بل من الهاشميين والأشراف، وأخذوا ينتشرون داخل مناطق القرن الإفريقى فى الهضبة والساحل · وبالرغم من أن تاريخ هذه الفترة ظل غامضا ومتضاربا بالنسبة للجانبين المسيحى والإسلامى على السواء ؛ لأنه كما ظهر فيما بعد وكما ذكرنا فى السابق انتشر الإسلام انتشارا

---

(١) رينيه باسيه : النقوش الكتابية فى جزيرة دهلك ، ١٩٧٧م، ص ٣٣ – ٣٤ ·

كبيرا أثناء هذه الفترة بحيث شمل جميع نواحى البلاد فيما عدا تلك المنطقة الجبلية المعزولة بل تعدى ذلك إلى سيطرته على منطقة شوا الجبلية كما سيأتى ذكره باختصار · وقد كان هذا الانتشار امتدادا عاما وزحفا طبيعيا تمتد به القبائل الإسلامية وتنشر ديانتها فى كل مكان دون تنظيم أو تعاون بين منطقة وأخرى وبين جماعة وأخرى ، وقد كان لاتساع الرقعة وتعذر المواصلات أكبر الأثر فى ذلك ·ولم يكن منافسهم المشترك فى تلك الفترة من القوة أو الخطورة بحيث يدفعهم إلى الاتصال أو توحيد الجهود أو ضم الدويلات الإسلامية المتعددة بحيث تتكون منها دولة واحدة قوية ، باستثناء الفترة الوجيزة التى توحدت فيها الدويلات عند جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم الملقب بالأعسر، واستمروا فى الاتساع على هذه الصورة حتى شملت مناطقهم أغلب مناطق القرن الإفريقى وهضبة الحبشة، حيث تغلغل الإسلام فى هذه المناطق وكان من القوة بحيث أصبح انتزاعه من قلوب الناس فى حكم المستحيل، وأصبح وجوده حقيقة لا رجعة فيها · وسارعت القبائل الوثنية التى كانت فى تلك المناطق إلى اعتناق هذا الدين الناشئ المنتصر ، وقويت بهم شوكة الإسلام وأهمها قبائل الأورومو فى إثيوبيا (١)·

تمت كل هذه العمليات فى مدى القرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر · وأصبح الإسلام يتحكم فى جميع المناطق الساحلية من أرخبيل دهلك (مصوع) إلى مناطق الدناكل (العفر) وبلاد الصومال وسيدامو فى الجنوب وسلطنة إيفات فى شوا وسلطنة هرر ، وزاد على ذلك أنه بدأ فى تهديد الهضبة الجبلية التى تحصنت المملكة المسيحية وانعزلت فيها ·

---

(١) فتحى غيث : مرجع سابق ، ص ٦٣ – ٦٤ ·

وقبل أن اختتم هذا الجانب من البحث حول انتشار الإسلام فى القرن الإفريقى لابد هنا أن أشير إلى بعض الملاحظات التى كان لها تأثير كبير فى نشر الإسلام فى القرن الإفريقى وشرق إفريقيا عموما منذ البدايات الأولى متأثرة بحضارة الإنسان العربى المهاجر وسلوكياته فى التعامل تجاريا أو دينيا (١) ٠

أولا : لم يدخل الإسلام شرق إفريقيا بحد السيف ، بل كان للتسامح والعدل المتسمين بالبساطة والمنطق السليم أكبر الأثر فى إقبال الناس على اعتناق الإسلام ٠

ثانيا : إن الدين الإسلامى لم يعتمد فى انتشاره فى هذه العهود وما بعدها على سلطة دينية منظمة لها سيطرة روحية تتدخل تدخلا كبيرا فى طريق حياة الأفراد وحريتهم ، ومن هنا فإن الدين الإسلامى لا يعتمد على طبقة كهنوتية تختص بنشر العقيدة ٠ فعلى العكس من ذلك تماما فقد وجد المسلمون أن واجب كل فرد منهم أن يكون داعية لدينه وكل من يعتنق الإسلام يصبح أخا لإخوانه فلا يتميز أحدهم عن الآخر إلا بالإيمان والتقوى ولا توجد وساطة بين المسلم وربه ، وأصبح أمر إيمانه متروكا لشخصه، مما جعله يحمل المسئولية بنفسه، وبذلك يصبح أكثر اهتماما بأداء واجباته الدينية ، وأشد تحملا للمصاعب فى سبيل تعلم مبادئ دينه وشعائره ، ويعتز بحريته التى تنمى فيه الاعتزاز بشخصيته وكرامته ٠

---

(١) فتحى غيث : الإسلام فى الحبشة ، ص ٦٩ ٠

وجميع هذه الصفات ولاشك كانت أقصى ما يتطلع إليه أفراد الشعوب الذين وقعوا فريسة لأنواع السيطرة ، ومنهم سكان إفريقيا الذين تعرضوا خلال تلك العصور لأقصى أنواع الظلم، حيث عانوا من العبودية التى طمست إنسانيتهم، وتاجر الأجانب فيهم بوصفهم سلعا ورقيقا يساقون سوقا إلى من يدفع ثمنهم ·

ثالثا : لقد كان فضل الإسلام عظيما عندما نادى بتحرير العبيد ومحاربة الرق، ولقد اتخذ من ذلك خطوته الأولى التى تتفق وما تقتضيه الدعوة الجديدة من تعزيز أتباعها، حيث حمت كل من يعتنق الإسلام من الرق، فالحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من مبادئ الإسلام الأولى·

رابعا : لقد وجد أفراد الشعوب الإفريقية من العرب الوافدين إليهم بحضارتهم ودينهم وتفوقهم فى مختلف نواحى النشاط أنهم لا يفرقون فى المعاملة بين شخص وآخر إلا بالتقوى ، مما جعل أهالى المناطق الإفريقية المختلفة يقبلون على اعتناق الدين الإسلامى فى صورة جماعات وطوائف بأكملها، ذلك الدين الذى يضعهم فى مستوى واحد ويرد إليهم كرامتهم ، فليس بينهم سيد ومسود ، فلم تلبث طوائفهم أن تختلط بالمسلمين حتى تدخل الإسلام ·

خامسا : احتكاك التجار الذين يتجولون ويجوبون المناطق المختلفة سعيا وراء التجارة ومصادر الرزق بشعوب هذه المنطقة، فقد كان هؤلاء التجار هم دعاة الإسلام الذى انتشر على أيديهم أينما تغلغلوا فى إفريقيا ، وكان لما يتصفون به من حسن المعاملة والصدق أثر كبير فى كسب الاحترام والثقة· وبهذه الطريقة البسيطة انتشر الإسلام انتشارا منقطع النظير، هذا بجانب الدعاة الصالحين كما ذكرنا سابقا ·